

## «بيونغ يانغ: من يتخلَّ عن برنامجهِ النووي يلقِ مصير صدام والقذافي

■ **حميدي العبدالله**

هذا التصريح الصادر عن جهات رسمية في كوريا الشمالية لا شك أنه ينطوي على كثير من الحقائق ويمثل رسالة مهمة لكثير من دول الامريكَة، ولا سيما الدول الصغیرة. فمن المعروف أنّ الرئيس العراقي صدام حسين لم يسقط بثورة قام بها الشعب العراقي، لا شك أنّ غالبية الشعب العراقي كانت تعارض نظامه، وثمة غالبية لم تكن تؤيد سياساته، ولكن مع ذلك هو سقط على أيدي قوات محتلّة قادتها الولايات المتحدة الأمريكية، وشاركت فيها أكثر من 40 دولة تور في الفلك الأمريكي. معمر القذافي، زعيم ليبيا، هو الآخر قد لا يكون مسؤولاً محبوباً من قبل الشعب الليبي، ولا يجوز على تأييد الغالبية، ولكنه هو الآخر لم يسقط بثورة قامها الشعب الليبي، بل سقط جراء تدخل عسكري جوي قام به حلف الناتو.

ديبهى أنّ ما جرى في العراق كان احتلالاً واضحاً واعداءً سافراً على دولة ذات سيادة عضو في هيئة الأمم المتحدة. وحتى الأمم المتحدة وصفت ما جرى في العراق، وسيطرة القوات الأميركية والقوات الحليفة لها بأنه احتلال، وطلّقت حدود معينة القوانين المتعلقة بهذه الحال. وفي ليبيا، صحيح أنه لم يكن هناك احتلال مباشر، بمعنى أنّ دول الناتو قامت بالسيطرة على ليبيا عبر جيوش اجنبية، لكنها ساهمت من خلال إسقاط الدولة الليبية بتسليم ليبيا إلى جماعات مسلحة لم تأخذ بعين الاعتبار مصالح وإرادة الشعب الليبي، وكانت النتائج كارثية على الشعب الليبي.

بهذا المعنى، دول صغيرة مثل العراق وليبيا لو كانت لديها قدرات عسكرية نوية مثل القدرات المتوفرة الآن في كوريا الشمالية، لما تحرّرت الولايات المتحدة وحلفاؤها ودول الناتو بالاعتداء عليها، من هنا اكتسب هذه الخلاصة التي تحدث عنها المسؤولون في كوريا الشمالية مصداقية استثنائية، ولعل ذلك درس لكثير من حكومات الدول الصغيرة الطامحة إلى التحرّر ورفض الخضوع والتبعية للغرب.

قد تكون إيران استثناءً، لكن إيران دولة إقليمية كبيرة، كان لديها من القدرات البشرية والاقتصادية والعسكرية، وما جعلها قادرة على الصمود في وجه الضغوط والحصار والعقوبات و حرب الوكالة التي شنتها الولايات المتحدة وحلفاؤها ضدها منذ عام 1980، ولكن مثل هذه الشروط والطرف لا تتوفر لحكومات في دول صغيرة قدراتها العسكرية والبشرية ومواردها الاقتصادية محدودة، لهذا فإنّ الامتواج الكوري الشمالي قد يدفع الكثير من الدول الصغيرة في المستقبل للعمل والفعله.

### «جنيف 3» ...

## خلافات المرجعية والهوية

■ **سعدالله الخليل**

أكدت الوقائع قبل القراوات تأجيل انعقاد الملتقى الدولي حول سورية «جنيف 3»، فمن الصعوبة التكهّن بإمكانية خروج الملتقى الدولي الذي طال الانتظار بانفراجات تحفّز في السعودية السياسي السوري، وتدفع باتجاه إيجاد حلول سياسية لازّمة السورية، لاعتبارات عدة انطلاقاً من الوقايف الدولية والاقليمية الدافعة باتجاه العودة إلى المربع الأول من الازّمة السورية بالاضرار على تبنّي وثيقة «جنيف 1» قاعدة لعقد «جنيف 3»، غير التمسك بهيئة الحكم الانتقالي كاملة الصلاحيات، والتي تتجاوز مقرّراتها فيما لبّي وثقتها القرار الأممي 2254 مستندة إلى بناء القرار على وثيقة «جنيف 1»، وهو ما صدر علناً عن مؤتمر الرياض لظافات المعارضة المحسوبة على المملكة السعودية، والعودة إلى معروفة طلب تنحي الرئيس بشار الأسد ومقّلت الصلاحيات لهيئة الحكم الانتقاليين، في حين متمسك موسكو ودمشق وباقى مكوّنات المعارضة السورية بوثيقة فيينا التي منحتها القرار الأممي الشرعية الدولية بما يسقط مقرّرات «جنيف 1» بالنتاقم، وبالتالي فإن التنايبن في المرجعية هو أول نقاط لبس في الملتقى الدولي، إضافة إلى العجز عن اتخاذ موجبات انعقاد المؤتمر، والتي حثدها القرار الدولي بتشكيل وفد المعارضة للفاوضات واعداد اللوائح البيضاء السوداء للفقوى المعارضة والإرهابية، في حين ترى المملكة بأنّ الهئية القطريضة الصادرة عن مؤتمر الرياض تتمكّل الانحياز بالتمثيل المعارض، فإنّ تهيمتها لباقى الفضائل الوازنة على الساحة لم يرض حلفاءها قبل حصولها، وجعل من الصعوبة على واشنطن الدفاع عن قائمة المملكة التي ضمت الاسلاميين المتشددين مطمعةً ببعض الشخصيات التي لطالما كانت جزءاً من الدولة السورية، وشكلت مناصب فيها، في حين تتراجح الدلائل وفق المرخح الروسي بين تلطيع الوفد بخصويات من القائمة الروسية أو الذهاب بوفدين للمعارضة السورية مقابل وفد الحكومة، وهو ما يدل على الخلاف في خانة حسابات البريخ والخسارة، ولقد الموحد يضعف الموقف السعودي كون الاسماء التي ستنضمّ إليه خارج العبادة السعودية، بما يعكس الصورة الحقيقية للشعب السوري المتعدّد، وهي رؤيّة تلقى رواجاً لدى القوى العلمانية والكردية ويظهرها بمستوى مفاوض أقوى من وفد الرياض ويسمح لها بقول كلمتها بشأن مستقبل سورية السياسي العلماني المتعدّد الاطراف، بما يعكس الصورة الحقيقية للشعب السوري المتعدّد، وهي رؤيّة تلقى رواجاً لدى القوى العلمانية والكردية، وتتسجج مع قرارات الامم المتحدة وبيان فيينا وشرعة حقوق الإنسان، فيسقط وفد الرياض ذو اللون والتوجه الواحد خاصة أنّ التجربة اثبتت أنّ الائتلاف لايمك أنّ ثقل على الأرض، كما يعرّض هذا التوجه وحالة نظر الحكومة بأنّ الائتلاف والسورية وتركيا سلبت إرادة الشعب السوري خلال سنوات الازّمة يبرض هذه القوى كتمطل وحيد له، وفي هذه النقطة تبدو الخسارة السعودية في حسم نقاط تشكيل وفد المعارضة لصالحها خاصة أنّها تصرّ على ضمّ مكوّنات فيينا صعوبة القول بما تمكّونات معرضة سياسية على اعتبارها تتبنى أفكاراً قاعدية ارهابية كما «أحرار الشام»، و«جيش الإسلام»، و«بانتظار الازدن التي تآخر إصدارها ما طرح جملة تناولات ومواقف في ظل الاصرار السوري على أنه لن يذهب لمفاوض اشياحها ما يعني أنّ الوقت يصبح على الازدن لإتمام التزاماتها امام المجتمع الدولي، والأفان دمشق في حل من المشاركة في ملتقى غير واضح المعالم ويلتبس فيه العدو والخصم، فالخصومة السياسية تحل على الطاولة بين القوى السياسية، أما المعاداة بمفهومها الإيجابي فلا مكان لها في المفاوضات بموجب القرار الأممي الذي يفرض محاربتها، و«بانتظار إنهاء الحكومة الأردنية قوائمه البيضاء السوداء فإن دمشق وحلفاءها ماضون في ضرب معالقات التنظيمات الإرهابية من «داعش» و«النصرة» و«خواتمها وحلفائها» من «أحرار الشام»، و«جيش الإسلام»، «فرسان» المملكة وأنقرة، وبالتالي فإنّ الضربة الاستباقية الروسية السورية ترمّز الورقة السعودية قبل اللبّ بها في قوائم عمّان بإتهانها على الأرض، وهو ما يفسر النشوة القوي على جبهتها أرباب اللاذقية وحلب ودمشق ودرعا حيث تتواجد تنظيمات «النصرة» و«داعش» المحسوبة على انقرة والرياض.

تعدديات المشهد وغياب الرغبة الأميركية في السعي باتجاه الحلّ السياسي للازّمة السورية تجعل التنجّل الخييار الأمثل في ظل خلافات المرجعية والهوية.

«توب نيوز»

## محاولة تخريب جنيف

- ازادت السعودية منذ المشاركة في مسار فيينا تخريب فرص العملية السياسية التي تحققت بتفاهم روسي مع أميركا عبر تفخيخها من الداخل بعد العجز عن موجدتها.

- اختارت السعودية وضع اليد على كوينات المعارضة عبر مؤتمر الرياض قاعدت الكراود وزعيمهم صالح مسلم، علما أنّهم وحدهم يمكن وصفهم بمعارضة قنائل الأرباب.

- دفعت السعودية بكل المسلحين التابعين لها ولتركيا للمشاركة في مؤتمر الرياض لتشرعيهم كعمارضين ومنع إبراھيم علي لوائج الأرباب.

- فشل تليبض «جبهة النصرَة»، جرى تعويضه بتقديم «جيش الإسلام».

- خاضت السعودية معركة إعلامية وديبلوماسية لخصص تسمية الوفد المفاوضات للمعارضة بجماعة الرياض، علما أنّ غياب المكون الكردي وحده كاف لنسف هذه الحضورية.

- مع الإعلان عن وفد المعارضة ورياسته لجماعة علوش صار واضحا العزم السعودي على وضع المعارضة نهائيا في السلة الوهابية.

- ارتضاء ما يُسمّى ب«علمائتي المعارضة يُؤكّد أنّهم مجرد مرتزقة عند السعودية.

- مفاوضات يكون علوش فيها الطرف الآخر تعني تشريع الأرباب.

- ازادت السعودية تخريب المسار السياسي وقبول وفد علوش دوليا ينسف جنيف.

- إلغاء جنيف افضل من قبول علوش.

التعليق السياسي

# البناء

# التكفير . . . مدرسة وثقافة

■ **عصام الحسيني**

في تطوّر الحضارات عبر التاريخ، انتقل الإنسان بثقافته المكتسبة، من مفهوم الحياة الفردية، التي تقوم على إشباع حاجاته الحياتية الأولية، المادية والمعنوية، إلى مفهوم حياة الجماعة، ثم إلى مفهوم الإنسان الاجتماعي، في صيرورة تاريخية، اختزلت في باطنها، كل المعارف والتجارب والنظريات والعلوم، اتصل به إلى حياة أكثر سعادة، وتلوّثمن له الأمن والسلام.

ولطبيعة التطوّر وضروواته، كانت الكثير من المفاهيم الملتبسة، والنظريات العايرة، تخضع للدراسة والتحليل والمناقشة والتجربة وإعادة التجربة، لتصبح علما ينتفع به، وقاعدة من قواعد النظم العلمية والاجتماعية، يستفيد منها دائما، في رحلة الإنسان الحضارية، الالمتناهية.

وكانت الفلسفات الإنسانية منذ وجودها، وظيفية فهم صراع النفس البشرية، ونهلها إلى عالم أفضل، عالم من المعرفة بعالم نعيشه، ولاندركه. لقد كانت لفلسفة الإغريق، ولكل الفلسفات التي عاصرتها، الخطوة الإنسانية الأولى، في فلسفة رؤية إنسانية أكثر عدالة، وأكثر تسامحا... ففن نظرية افلاطون المثالية، حيث أنّ العالم يمكن أن يعيش انعكاسا لسعادة لا تفنّي، سعادة حقيقية تنشع من عالم المتل، إلى نظرية أرسطو المنطقية، في عالم يمكن أن يعيش ليس بسلا فقط، بل بعيش عيشا سعيدا، إلى نظرية بوذا الهندية الإنسانية الراقية حيث أوصى تلامذته يقول، «ادبوا إلى كل بقاع الأرض، ولفنوا الجمع هذا الدرس، اكدوا لهم أنّ الفقراء والضعفاء والأغنياء وعليه القوم كلهم سواء، وأنّ المخلوقات جميعها متحدة مرتبطة في هذا العالم، كما تتحد قطرات الماء جميعها في البحر».

ثم أتت الفلسفات الدينية، التي أسست لثقافة السلام والمحبة والرحمة، ثقافة الإنسان الحضاري، صاحب الفكر والقيم الراقية، لتجعل الإنسان أكثر فهما لطبيعة الوجود والحياة، ما قبلها وما بعدها، وأكثر تقبلا لوجود الآخر، والساناء الآخر، وأكثر سعادة بعالم يقوم على العدالة والمساواة، وعلى اعتناق مفهوم الأخوة الإنسانية. وعن الطبيعي، إنّ تكون الثقافة الدينية، مدخلا إلى عالم من القيم الاجتماعية، التي تدعو إلى السلام العالمي، وهو ما ورد في معظم النصوص الدينية، حيث أنّ «السلام» كان المفهوم الأكثر اشترافا وضوحا.

غير أنّ التفسير للنفس البنيي، كان يرمّ في بعض الأحيان، في مراحل ملتبسة، في مظف الكتب للدليانات المنزلّة، حيث رأينا مثال ذلك:

في تفسير خاμάτων اليهود للثوراة، وحمل التلمود، وكتاب الله الناطق حسب زعمهم، والذي يعبر عن رغبات الحاجات الشخصية الخاصة، وليس تفسيرا حقيقيا لماورد في الكتاب.

وفي المسيحية، رأينا العديد من جهات النظر الهلوتية، التي تفسّر ابنا الانجيل والأحداث والمشاهد بضرص، وكما برأها الإنجيل لفظاء اللاهوت، فكانت المذاهب المتعدّدة، والكناخس المتعدّدة، انطلقا من هذا الفهم المتعدّد، والقراءة المتعدّدة. وفي الإسلام، رأينا التقسيم للفرق والمذاهب الفقهية، المتسامحة والمتشدّدة، والتي ترى في تفسير النصّ الديني المتعدّد، رؤية متعدّدة، قد تصل في بعض الأحيان إلى مرحلة التناقض والصراع غير المفهوم.

وحيث أنّ الله محبة، في جميع الثقافات الدينية، كان من المفترض أن يعمّم هذا المفهوم، على جميع من يؤمن بالدليانات المنزلة وكتبها، كنتيجة منطقية حتمية، لا تحتفل الشك والايّتاس.

لكن الواقع، أنّ التفسير الملتبس لجوهر ثقافة الدين، في بعض الأحيان، ولأسباب محض خاصة بالتشاخص المفسرين، من فقهاء وعلماء ومبلغين ورجال دين، جعل هذا الجوهر الثقافي، يضعف في آتون الرغبات والإنجازات والطموحات والزاعات، وينتج صراعات هي أضع ما تكون إنسانية، قبل أن تكون دينية.

وقد وصلت هذه الصراعات في بعض الأحيان، إلى حدّ التكفير، وهي من أخطر البدع التي ابتلي بها بعض المسلمين، والتي ترتب عليها لنم كان على الإسلام، عقوبة القتل، وهي مخالفة للمنحج الإسلامي الصحيح، ولجوهر ثقافته.

### ثقافة التكفير في الإسلام تاريخياً

وفي مراجعة تاريخية، لمفهوم الصراع الفقهّي، حول تفسير النصّ الديني الإسلامي، وما أنتج ذلك مع يد «التكفير»، نرى أنّ هذا المفهوم قد مر بمراحل متعدّدة، ولأسباب مختلفة، من حيث الطبيعة والأهداف وهي:

أولاً: في زمن فجر الإسلام، بعد قضية التكعيم، بين الإمام علي ابن أبي طالب،

وبين معاوية ابن أبي سفیان، حيث رفض قسم من المسلمين نتيجة ذلك التكعيم، وسنّواب الخوارج».

ومدّ قفّر «الخوارج» إمامهم علي بن أبي طالب بعد واقعة «التكعيم»، ولم يعترفوا بحكم معاوية، وسيّئون وجوب الثورة على أمّة الحق والفسق والضعف.

وبذلك يكون الخوارج هم أول من أسس لأول فكر متشدّد في تاريخ الإسلام، وأول من نادى بالتكفير بين المسلمين.

ثانياً: مع قيام أحمد بن حنبل، أحد الأئمّة الاربعة عند أهل السنّة والجماعة، والذي يُعتبر مؤسس الفكر التكفيري فقها، بمنهجه السني المحافظ، الذي يعتمد على النصّ الديني، والاتباع عن الإتهاد والتاويل، رغم أنّه لم يكفر في حياته، من عارضه من فرق الاسلاميّة الأخرى.

ثالثاً: مع أحمد ابن تيمية (–661 728)، ويوصف بـ«شيخ الإسلام»، وهو صاحب فرق متشدّد، ينتصر للنصّ على حساب العقل.

نهى عن زيارة قبور الأنبياء، وزيارة قبور الأولياء، والتوسّل بأصحابها.

من فتاوى ابن تيمية:
«من شك في دار البخل للمتلطبّ أو التعلم، أو التجارة، فاقم بئهم وأنت تضمض العداوة لهم».

«من لم يبغض النصارى والفكر ليس مسلماً».

«من شك في كفر الشيعة قد كفر».

«من متعلّق فقد تزندق».

فتوى التتار، وفتوى ماردين، وفتوى التترس، وهي المرجع الفقهي للحركات

التكفيرية، التي نشر عن حربها على الآخرين.

كان من مذهبه التوفيق بين المعقول والمقول، وكان مقترحاً متمسّخاً للجهاد للحكم الشرعي.

رابعا: مع محمد بن عبد الوهاب (1703 1791)، ويبتنّى فكرة دولة كاسلوب لإعادة إقامة دولة الإسلام أو دولة الخلافة.

كان صاحب فكر متشدّد لتفسير الإسلام، حيث ضمّ المسائل الفرعية المختلف فيها، إلى مرجع التكفير.

من فتاوى محمد بن عبد الوهاب:

«الفكر والكفر سيان، لأنهما من نفس الحروف».

«إنّ المسلم لاتنتعه شهادة (إلاّه) إلاّالله محمد رسول الله) ما دام يعتقد بالتركيه بمسجد الرسول».

من أفكاره:

كان يكفّر أئمّة الشيعة الإمامة، وأكثر الصوفية، وكان يفرط في تكفير وتضليل كلّ من هو على اختلاف مفع.

أمر يهدم الشواهد والآثار النوبية المتبقية، وهدم الأضرحة والقباب، وقبور الصابئة وكل البيت.

حزم: الاختلاف بالأعياد والمناسبات من ذكرى مولد ونحوه، باعتبار ذلك عبادة لمن يحتفل بمناسبته، وتعظيم له.

### ولادة دولة الإسلام السياسي

تعتبر الدولة السعودية الأولى، التي تأسست عام (1744) هي النموذج الإسلامي السياسي الأول، والتي كانت تقوم على حلف تاريخي مقدس، قائم على ركيزتين أساسيتين هما: ركيزة دينية متمثلة في فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وركيزة سياسية تتمثل في حاكم الدرعية محمد بن سعود.

هذا التحالف ممكّن بين سعود من بسط نفوذه، مقابل دعمه لاتباع الشيخ عبد الوهاب في رسالتهم «تطيير الأرض من الكفار».

لقد بايع محمد بن عبد الوهاب الأمير محمد بن سعود على السمع والطاعة، وبايعه الأمير محمد على نشر دعوته إذا استتبّ له الأمر.

ويعدان استقرّ الأمر لمحمد بن عبد الوهاب بالدرعية، أمر أتباعه بالجهاد، وبدات سلسلة طويلة من الغارات على السكان المخالفين لفكره، بوصفهم مشركين، وخارجين عن الدين، ولا يتعدون على الطريقة الوهابية، التي تصوّر الإيمان الحقيقي، بالله، وعن استقلال، وتكريس التبعية.

1 – عام (1212 هجري) غزوة عرب الشام: حيث تمّ قتل أعداد كبيرة من عرب الشرائط، وأخذوا جميع محلتهم وأمتعتهم وأزوادهم من الإبل والأغنام، ووزعت على الجيش.

2 –عام (1216 هجري) غزوة كربلاء: حيث قتلوا معظم أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الإمام الحسين، وأخذوا ما فيها من الثياب والحولها، وأخذوا النصبية التي وضعوها على القبر، وكانت مرصوفة بالزمر والياقوت والجواهر، وأخذوا جميع ما وجدوا في طريقهم.

3 – عام (1217 هجري) غزوة الطائف: وقتحوها بغير قتال، وقتلوا من أهلها المئاتين، وصادروا كل ما عنزروا عليه.

4 – عام (1271 هجري) غزوة مكة المكرمة: عندما دخلوا المدينة، قاموا بهدم القباب التي بنيت على القبور، مدة بضعة عشر يوماً.

5 – عام (1220 هجري) غزوة المدينة المنورة، وعندما دخلوها، هدموا جميع القباب التي وضعت على قبر القبور.

6 – عام (1220 هجري) غزوة بلدة المشهد العراقية: ولم يستطعوا الوصول إليها، فإغاروا على المراتل من عربان غزية، وأخذوا مواشيهم.

7 – عام (1222 هجري) غزوة البصرة: عندما دخلوا المدينة، قتلوا الكثير من أهلها، ونهبوا ما صادفوه.

8 – عام (1225 هجري) غزوة عمان: عندما دخلوا المدينة، قتلوا الكثير من

أهلها، ونهبوا أموالاً عظيمة.

وفي النهاية نتج عن هذه الغزوات والحروب، قيام الدولة السعودية الأولى، التي امتدت من دمشق شمالاً، إلى عمان جنوباً.

لقد جعل محمد بن سعود، الوهابية مذهب دولته وقانونها، ويظهر ذلك في ما بعد، في «علم» الدولة الذي يحتوي على الشهادة مقترنة بالسيف.

وكان من أسباب انتصار الحلف المقدس، للدولة الجديدة، إملات ابن عبد الوهاب، التي اعتبرت أنّ نجد هي دار هجرة، فشرعت مجموعة من المسلمين بالهجرة إليها، حيث حظي مؤلاء على قيمة دينية واسعة، واطلق عليهم مسمى «المهاجرين».

وبذلك ارتبط مفهوم الهجرة بالجهاد، ارتباطاً مؤسساً للفؤل: لا جهاد بدون هجرة، ولا هجرة في المصطلح، تشير إلى الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام.

ويشرح الوهابية ذلك عبر شيخه(عبد الرحمن آل الشيخ) يقول:

«إنّ الله سبحانه وتعالى قد أمر بالمهجرة من أجل حفظ هذا الدين، وصون أرواح المؤمنين. فبدون هجرة لاقوم لهذا الدين قائمه، ولايعيد الله، ومن المستحيل بدون هجرة أمر بالله والشرك والظلم والشر».

ومن واضح القول، إنّ «التكفير» متداخِل في مفهوم الغزو والجهاد، وأصبح شعار «الجهاد» ميزراً عبر تكفير المجتمعات المستهدفة.

وفي التجارة، قامت الدولة السعودية الأولى، عبر تحقيق صلحة مشتركة... صلحة الوهابية التي حصلت على حماية الدولة، وصلحة آل سعود الذين حصلوا على ايدولوجية مشرّعة لدولتهم.

وهذه الرؤية، هي ما قال به ابن تيمية، الذي كان يعتبر أنّ الدين لا يبدلّه من دولة تحميه، وأنّ الدولة لا يبدلّها من دين يبرّز وجودها وشرعيّتها.

والوهابية في جوهرها، هي حركة موجهة للمجتمع وليس للحكومة. ولذلك عندما سظلت الدولة السعودية الأولى، على يد حاكم مصر محمد علي باشا لم تسقط الوهابية معها، بل كانت تنمو وتكسب المزيد من التأييد الايديولوجي لها.

وينسب مؤرّخو الدولة العثمانية، أصول الفكر الوهابي إلى مؤامرة بريطانية، دبّرت بتفنيذ من جاكوس برطانيي يُدعى «المستر مفهرز»، حيث هدف إلى زرع هذه الحركة في داخل الدولة العثمانية، لأهداف متعدّدة منها:

1 – زرع سلطة العثمانيين على إدارة المقدسات الإسلامية، في مكة والمدينة والقدس.

2 – إضعاف الداخل الإسلامي عن طريق زرع الفتن بين المسلمين، مثل مهاجمة (الصفوية)، التي كانت الإمبراطورية العثمانية تمارسها وتنتجها.

3 – محاربة التقليد القائم في بلاد فارس، التي كانت محكومة من قبل القاجار، وهم الإمبراطورية الإسلامية الأخرى المنافسة للبريطانيين في المنطقة، وعلى مقربة من الهند.

والوهابية، لم تكن الحركة الوحيدة التي زرعها البريطانيون في العالم الإسلامي، وتعمل لمصلحهم، بل نشأوا غيرها مثل:

1 – الأحمديّة: أو ما يُعرف بالقاديبانية، التي ظهرت بين مسلمي الهند في القرن الثامن عشر،

2 – البهائية: التي ظهرت في بلاد فارس في القرن الثامن عشر.

### ولادة المملكة العربية السعودية

وحول كيفية وظروف قيام وتشكّل، الدولة السعودية الثانية، (المملكة العربية السعودية) فإنه: بعد التحالف العثماني الكماني، بعد توحيد ألمانيا على يد بسمارك، أحسن البريطانيون بخطر حصارتهم في مصالحيهم في الهند، وخاصة بعد كشف مخطط مذ السكة الحديدية، التي تبدأ من برلين، مرورا بباروينا الشرقية، واسطنبول والأناضول، إلى الموصل بغداد والبصرة، وتنتهي بالكويت على ساحل الخليج العربي، على مقربة من الهند.

وعليه، وبعد صق الشكوك البريطانية، وكشف مخطط السكة الحديدية، قام البريطانيون بعمل حظوظ تهمين لهيمنة الإجماع العثمانيين من الخليج وهي:

1 – توقيع اتفاقية حماية مع الشيخ «مبارك الكبير»، أمير الكويت عام (1897)، والتي كانت آنذاك قرية تابعة لقضاء البصرة، وتحت حكمها، وظلت ترفع علم الحماية حتى عام (1962).

2 – دعم «عبد العزيز آل سعود»، الذي كان لاجئاً في الكويت حينها، واعداده بالسلاح والمال والرجال، لطرد ابن الرشيد، عامل العثمانيين في نجد، والاستيلاء على نجد ثانية، لتلتها الإحصاء على ساحل الخليج، والتي أسست لولادة المملكة العربية السعودية.

وكانت الوهابية، هي السلاح الايديولوجي لمحاربة العثمانيين، وفي خدمة المشروع البريطاني، مما يبدل على أنه أمكن استخدامها لغايات سياسية إمبريالية، لكثّر من مرة، أو كانت ذاك طابع ايديولوجي ديني.

### الفكر التكفيري الماعصر

بعد سقوط «النظام العربي العربي» و«المظلومة الاشتراكية الدولية»، برز مفهوم نظام الإسلام السياسي، كبديل عن فشل خيارات الأنظمة القائمة، في السياسة وفي الاقتصاد، الإسلام الذي يبتنّى ايديولوجية التكفير، كمنهج في الفكر وفي السلوك.

وقد ارتكز قيام هذا التيار التكفيري، على عوامل متنوّعة متعدّدة، ساهمت وأُسست لبروژه وتشكّله، حيث أصبح ثقافة عممّفة، في الكثير من المجتمعات الإسلامية، ومن هذه العوامل:

1 – الخلفية الثقافية الدينية، والدعم السعودي غير المحدود، وتمسّد شرعيّتها باسناد، مما ورد من فتاوى مشايخ التكفير، ابن تيمية، وابن عبد الوهاب، معتمّة قائلوا، ولذا لم يكون هذا الفكر، وذلك بدعم مباشر من راعي هذا التوجه، وعلى كلّ ألوانه، الأخر.

ويتنشر المدارس الوهابية التكفيرية، المعتمّة لهذه الثقافة، في العديد من دول العالم الإسلامي، والتي تغذي هذا الفكر، وذلك بدعم مباشر من راعي هذا التوجه، والقيم عليه.

وتقوم المملكة العربية السعودية بالبرصد أموال طائلة، في كوستالعالم الوهابية التكفيرية، بدليل ما يقول به السفير الأمريكي السابق لدى كوستاريكا (كورتين وينتز) عن علي بنسيف الكيسيف أثناء جلسة الاستماع لأحد لجنة العدل التابعة لمجلس الشيوخ في (26 ايار 2003) بأنّ

«السعودية أنفقت (87) مليار دولار خلال العقدين الماضيين لنشر الوهابية في العالم.

ويلاحظ وينتز، في دراسته حول تاريخ نشأة الحركة الوهابية، جهود نشر الوهابية في عدد من بلدان جنوب شرق آسيا، وأفريقيا، والدول الغربية، من خلال بناء المساجد والمدارس الدينية، والشروعات الخيرية، واستقطاب الشباب العاطل والمهاجر في هذه البلدان.

وتقول هذه الدراسة، إنّ خرجي الإسلام الوهابية، كانوا وراء بعض الأعمال الإرهابية، مثل اغتيال الفنان البولندي تيودور فان غوغ عام 2004، وتخجيرات لندن عام 2005.

2 – فشل النظام العربي السياسي والاقتصادي: كان لفشل معظم النظام العربي، في خلق مجتمعات سياسية مسقّرة، تنتج ثقافة وطنية، بعد خروجه من مرحلة الاستعمار المباشر، مع فشله في خلق تنمية اجتماعية اقتصادية، أحد الأسباب المساعدة في وجود فكر إسلامي تكفيري، كردّ على واقع مزروم، وفشل مزروع.

ولم يستطع المال العظمي النفقي الإسلامي، في خلق هذه الحاضنة الاجتماعية، لا على المستوى العربي، ولا على المستوى القومي، مما ساعد في خلق مناخ فكري متطرف، تحت عنوان الحاجة إلى دولة «نيوقراطية»، يكون الحلّ معها.

والمعالم السياسية، في ظاهرها «الربيع العربي»، إلاّ أحد تجليات هذا الواقع المرزوح، لكنه غير مفكور بغير دليل، يتوق نحو بناء مجتمع أفضل، بدبل بنّج مواطنية، ومواطن، وفنّ انخيار ما تبقى من نظام، مع تبديل الفوضى، والتفكّك والانطام.

3 – استفغلال الاستعمار الغربي لظاهرة التكفير: لقد استفغل الاستعمار الغربي ظاهرة التكفير، في خدمة مصالحه الاستراتيجية، قديماً وحديثاً.

للاستعمار القديم وعلى رأسه إنكلتر، استفاد من الفكر التكفيري في حربه ضدّ السلطنة العثمانية، وألمانيا النازية، لقاء دعمه في بيئته، وتمكينه من أعدائه، وتزويده بما يحتاج لقهْر خصومه، لوصوله إلى السلطة، ولحماية هذه السلطة مستقبلياً، لذلك تنفّقر إلى المشروعية الشعبية، وهي وليدة تحالف قوى الاستعمار الغربي، والقوى الرجعية العربية.

وجاء الاستعمار الجديد، المتمثل في القوّة الصاعدة بعد الحرب العالمية الثانية، والولايات المتحدة الأمريكية، ليكمل هذا المشروع، بتجنّك مختلف، لكن تبقى الأهداف واحدة، في الاستلاب، وتكريس التبعية.

لقد استفاد الاستعمار الغربي القديم والحديث، من الفكر التكفيري، في النقاط التالية:

1 – تأمين سيطرة عربية استعمارية، على موارد المنطقة الطبيعية، من خلال دعم النظام الرجعي الحاكم، المتحالف مع الفكر التكفيري الوهابي.

2 – تكريس الظرفية، بدل القومية، والوقوف في وجه قيام قومية عربية، على قاعدة «أنا أو لا أحد».

3 – ولادة شرق أوسط جديد بلافلسطين، مع «وجود» كيان العدو الصهيوني ليكون بديلاً عنها.

4 – الإساءة إلى الدين الإسلامي ومحاولة تشويهه، من خلال إبراز الوجه العففي غير الإنساني وروبطه به، خدمة للوجود الصهيوني في المنطقة، وإسقاطها للقيم العصبية للمجتمع القائم، ليصبح خرقه متاحاً ومتقبّلاً، لأهداف الاستعمار.

5 – إضعاف عمل الجيوش المسلحة، التي قد تشكّل خطراً على العدو الصهيوني، أو التي من الممكن أنّ تشكل عليه خطراً مستقبلياً، أو التي من الممكن أنّ تنصّدى لمشاريع الاستعمار، وذلك بضربها عبر تنفيذ مؤامرات من الداخل الوطني، أو ضربها عبر تنفيذ مؤامرات خارجية مستنّرة.

السنة السابعة / الخميس / 21 كانون الثاني 2016 / العدد 1985

Seventh year / Thursday / 21 January 2016 / Issue No. 1985

[السنة السابعة / الخميس / 21 كانون الثاني 2016 / العدد 1985](#)

6 – اكتشف الاستعمار أنّ المواجهات المباشرة تنهكه وتكلفه مادياً ومعنوياً، وأنه يمكن للفكر التكفيري، أن يحقق له بعضاً من أهدافه، وهو بذلك يصخّ عليه لقب «المرتزق الايديولوجي».

كل هذه الأسباب، أدت إلى بروز فكر تكفيري معاصر، وإلى ظهور ما يسمى «السياسة الإسلامية»، القائمة على شرعية تكفير الأخر.

### إشكالية التكفير

#### مع الاستعمار والرجعية

لكن وفي لحظة الاستفادة المتبادلة، والمصالح المشتركة، برّز انكسر الراديكالي التكفيري، ليحاول أن يضع قواعد جديدة للعبة، أدت إلى بروز إشكالية مع الاستعمار الغربي، ومع الرجعية العربية.

لقد قامت الفرق التكفيرية بجمع فروعها، بمارسات عقابية لإنسانية موقّعة، في غزواتها وحروبها الإرهابية في سورية والعراق، وفي العديد من دول العالم، وهي في خلفيتها الثقافية، تمارس واجب الجهاد الذي يوصل إلى الجنة.

وكانت الفتوى الشرعية حاضرة في طقوس القتل، بحسب ما قال به مشايخ التكفير، وخاصة المثل الذي مارسه تحالف الدولة السعودية الأولى، في حربها وغزواتها على محيطها الإسلامي، بثمّة الكفر والشرك والخروج عما أمر به الله.

وكذلك مارست فرق التكفيرية، الهجرة إلى بلاد الشام والرافدين لإقامة الدين، والذي لا يقوم إلا بالهجرة والجهاد وتكفير الأخر، عبر ما أفتى به الفكر التكفيري الوهابي، والذي تمّ تاريخه من:

هجرة المسلمین الأولى إلى المدينة المنورة، مع الرسول، ثم الهجرة الثانية لنصرة الدين، مع محمد بن عبد الحبيب في عهد الدار الجديدة في نجد، ثم الهجرة الثالثة، إلى لحلفتنا المعاصرة، حيث تقاطر إلى بلادنا في «واجب شرعي»، كل تكفيرئي العالم، في مهمة جهادية، وهي إقامة الدولة الشيوخراطية، التي أمرها الله، وليس لرفع لواء الحرية والديمقراطية.

وفي ممارساتها الإرهابية الموقّعة، والتي بلغت درجات غير مسبوقة في تاريخ الإحرام، وإمام اهتزاز الرأي العام العالمي، لهول ما شاهدته من جرائم مروّعة بحق الإنسانية، وجرائم الإبادة، وما يحتم التدخل الدولي، لمحاسنته ودرعه وتقديمه للعدالة الدولية المقرّضة.

وأمام هذا الواقع، وجد الفكر التكفيري نفسه في مواجهة مباشرة مع، الاستعمار الغربي من جهة، والرجعية العربية من جهة ثانية، وهي:

أولاً: إشكالية الاستعمار

إنّ الأسباب الموجهة، لبقاء وظيفّة الفكر التكفيري وممارساته لما تزل موجودة، وهي تأمين مصالح الاستعمار الاستراتيجية في الشرق الأوسط، في وجه العديد من دول العالم الإسلامي، بحسب رؤية «المستر مفهرز» مع الدولة السعودية الأولى، إلى محاربة المشروع العثماني الألماني مع الدولة الثانية (المملكة)، إلى المراحل اللاحقة المتتابعة والمستمرّة.

وخروج الفكر التكفيري، عن الأهداف الاستعمارية المرسومة له، بحتم ضرورة التحكم به، والسيطرة عليه، كون أنّ وظيفته الاستعمارية لم تنته بعد، ولم يجيز بديل يتوب عنه.

إنّ خروج الفرق التكفيرية عن السيطرة، كان أولاً:

1 – في أفغانستان: حيث تحول هذا الفكر التكفيري، من فرق في يد الاستعمار الغربي، بعد انسحاب الجيش الأحمر السوفياتي، إلى فرق تفتش عن وجودها السياسي في النظام الدولي الجديد، معرضّة نفسها ورف